الحادثة في الوجود

بحث في تحليل الوجود الى عناصره الاولى تحليلاً علميًّا

نودُّ في هذا المقال ان نحلّل الوجود . اي اننا نود ان نعيّن ابسط الوحدات التي يتألف منها . لقد تساءل طاليس ابو الفلسفة : ممَّ يتألف الوجود ؟ ما جوهر الوجود الاقصى؟ ونحن نحاول في هذا المقال أن نجيب عن هذا السؤال

وقبل الخوض في الموضوع نرى انفسنا مضطرين الى تدارك ثلاثة امورٍ جوهريةٍ قد يحدث سوء فهمها صورةً في ذهن القارئ غير صحيحةٍ ولا عادلةٍ عن الغرض من هذا المقال

الاول يختص بطريقة البحث التي نرغب ان نقوم بها في تحليلنا. فهي الطريقة العلمية المحضة ، اذ لن نفترض الاَّ ما يُختبَر بحواس الانسان او ما يُستنتَج بالمنطق ممَّا يُختبَر بهذه الحواس . نودُّ أن نعرض للوجود كما نختبره فعلاً في اشكاله المختلفة من بيتٍ وطفلٍ وصوتٍ وقبلةٍ وموتٍ وخوفٍ ونجمٍ ونداءٍ بالاستقلال وغيرها . نود أن نعتبره في هذه الاشكال ونسلط عليه الطريقة العلمية التحليلية حتى نرى إن كان بالامكان ان نتوصل الى كنه جميع هذه المظاهر ونوحّدها في نظر فلسفي عامّ

والاستدراك الثاني هو انه يصعب على القارئ أن يرى في البحث معنىً ويقدّر للتحليل قيمةً الاَّ اذا اطلق لعقله الحرية التامة ورجع بذهنه من سفسطائية حاضرة قد تكون مكبلة له الى فطرة الطفل وطلاقة الحرّ . انا اطلب الى القارئ ان ينظر الى الخبرة البشرية بسذاجة وبساطة ، والاَّ يدع النظم الفكرية التي لا بد ترتع في ذهنه تفسدُ عليه صفاء هذه النظرة . لا تسلّم بامرٍ ما لم ترهُ بسيطاً واضحاً يثبت نفسه بنفسه . شكك في كلّ امرٍ ولا تدعهُ يتسرب الى ذهنك خلسةً . لا تسمح لسابق ظنٍّ او زعم ان يقف عثرة في سبيل تفهمك امراً سهلاً جليًّا . عنك والمغالطة في اتباعك البحث اذ نحن نود ان نتوصل الى الحقيقة المجرّدة ايًّا كانت صبغتها . وفي كل هذا التجريد الذي ادعوك اليه لا ارغب ان اتركك في النهاية معلقاً بين الارض والسماء بلا عقائد ولا نظام فكري ولا حقائق ترتكز اليها . انما اطلب اليك أن تتجرد من السفسطائية المختصة بك وتتنفس الحرية والسذاجة ثانية حتى اقودك انا بدوري الى سفسطائية جديدة

وهنا موقع الاستدراك الثالث . يجب الاَّ ينتظر القارئ من هذا المقال كثيراً ، فنحن وان كنا قد صدّرنا مقالنا بعزمنا على تحليل الوجود لا نقصد بذلك اننا سنحلّ جميع

مثا كل الوجود . يعترضنا الوجود في هذا البحث لا كغاية او قيمة بل كحقيقة واقعية . نود ان نعين ما هو الوجود بحد ذاته لا ما قيمته لنا . نودّ ان نصفهُ وصفاً نزيهاً واقعيًّا من دون ان نشوههُ باهواتنا واغراضنا. فالقارئ الذي ينتظر ان تُحل مشاكله الشخصية بهذا التحليل لا شك واهم ، والقارئ الذي يرغب ان توصل الى الله او الخلود او الروح عن طريق هذا البحث لا يلبث عند تمة قراءة هذا المقال أن يتحقق خيبة أمله إذ ان قيمة امر وجوده لا يتعينان قبل ان يتعين ذاك الامر بحد ذاته وهذا السعي الاخير هو ما يشغلنا فيما يلي

***

مدار البحث الآن الخبرة البشرية الواعية المجرّدة . واوّل تميز تتضمنه هذه الخبرة هو التميز بين أنفسنا من جهة وبين العالم المحيط بنا من جهة اخرى ، بين الفرد وبين الكون المحدق به . واعني بالفرد هنا وعيه الداخلي وبالاخص تلك الوحدة الداخلية التي تجعل من تنوع خبرته نظاماً شاملاً متسقاً واحداً والتي تعي نفسها وتعي محيطها وتعي العلاقة المستقرة بين كليهما. لنطلق لفظة «البيئة الداخلية» على وعي الانسان ولفظة «البيئة الخارجية» على الكون الذي يكتنفه

من منّا لا يشعر بنفسه فرداً واحداً مستقلاً ؟ من منّا لا يشعر بتنوع خبرة داخلية، ومن منا لا يوحّد هذه الخبرة على تضارب الوانها واشكالها في نظام واحد ووحدة شاملة هي النفس او الذات ؟ من منا لا يعي انفصاله عن محيط خارجي تربطهُ واياه اوثق العرى والروابط؟

وفي حرمة هذا الوعي لنستطيع ان نميز اختلافاً في المادة والتركيب . لنستطيع مثلاً أن نميّز الشعور العام عن العاطفة الخصّصة المعينة . فالشعور العام بكيان الفرد وبصلاحية

أن تميز الفكرة تلو الفكرة عن العاطفة . ولنستطيع أيضاً أن نميز السعي والميل عن كلٍّ من العاطفة والفكرة . وهكذا يمكننا أن نثبت ان الوعي البشري ذاتُ تركيبة وان التحليل العلميّ النقديّ يكشف الستار عن مركّبات هذه الذات . وقد رأينا أعلاه ان هذه المركبات هي الفكرة الواعية فالعاطفة الواعية فالسلوك أو العمل أو الحركة الواعية

إنّ وعيك ووعي ، أي أن نفسك ونفسي ، أي ان ذاتك وذاتي ، تتألّف من هذه الوحدات الثلاث . واذا قلنا اننا لنستطيع أن نميز نظريًّا بين هذه المركبات فاننا لا نعني ان الوعي البشري يكون أحياناً عاطفة فقط وأحياناً فكراً فقط وأحياناً سلوكاً فقط . كلاّ بل في كلّ ظرف من ظروفه يكون عاطفيّاً وفكراً وسلوكاً معاً ، وتكون هذه المركبات الثلاثة مندمجة فيه اندماجاً حيويًّا . أنت تنظر الى هذه الصفحة الآن وتقرأ هذه الكلمات وتعي معناها . فعملك هذا عملٌ واعٍ لا يحتوي على مجرّد فكر بل يشمل أيضاً عاطفة

هي رغبتك في اتمام قراءة هذا المقال وسلوكك المعين القائم على شكل جلوسك وشكل مسكك لهذا الكتاب واتجاه عينيك الى هذه الكلمات وحركة أصابعك ودقائق دماغك . فهذا العمل الواعي الذي قد يُظن فكراً بحتاً هو بالحقيقة مزيجٌ من فكرٍ وعاطفةٍ وسلوكٍ

تساءلنا ماهو أوّل تمييزٍ نستطيع أن نثبتهُ في الوجود فأجبنا انهُ التمييز بين البيئة الداخلية والبيئة الخارجية . ثم شرعنا نحلل الاولى الى أن وصلنا الى مركباتها الثلاثة التي قررنا انها تدخل في تركيب اي عملٍ واعٍ . وتحليلنا للبيئة الداخلية لا ينتهي هنا بل يتخطى هذا الحدّ ، لكننا نرجيء الآن هذا التخطي الى أن نقوم بمهمة تحليل البيئة الخارجية

***

تعرض البيئةُ الخارجيةُ نفسها على البيئة الداخلية ، أي على وعيك ووعي ، في أشكال وتاسيق متنوعةٍ . فهناك النور والصوت ، هناك الرجل والقبلة والقوة ، هناك النسمة والشمس والكتاب ، هناك جميع ما يطرق حواسك طيلة حياتك . جميع هذه الموجودات تفاجيء وعيك عن طريق حواسك ، فهي اذاً كما هي بالنسبة لهذه الحواس ، أي ان لطبيعة حواسك أثراً فعالاً في انتخاب هذه الموجودات وتنسيقها واسناد ما تُسنِد من الصفات اليها

هذا الاعتراف بان المعرفة نسبية الى حواس الانسان أمرٌ هامٌ شرع العقل البشري في عصرنا هذا ينتبه لتضمّناته . لكنهُ لا يهمنا هنا كثيراً فنكتفي بافتراض صحته ونخطو عنهُ الى أمر جوهريٍّ آخر

مهما تنوعت البيئة الخارجية ومهما تشعبت محتوياتها فهي مع كل ذلك تنحصر في شكلين لا ثالث لهما : المادة والحركة

كل ما رأتهُ عين وكل ما سمعتهُ أذن ، بل كل ما لمستهُ يدٌ وكل ما شمهُ أنفٌ وكل ما ذاقهُ فمٌ بل كل ما طرق وعي الانسان هو إما مادة أو حركة أو مادة متحركة (١)

لا بدّ أن يكون قارىء المقتطف ملمًّا بالنظرية العلمية في تركيب المادة . لذلك لا نسهب هنا في شرحها بل نكتفي بالاشارة اليها . فهي تحلل جميع مظاهر المادة الى دقائق تكون متماثلة اذا اختصت بمركب كيميٍّ واحد ومن ثم تحلل هذه الدقائق الى جواهر فردة (ذرات) لكل عنصر من العناصر الكيمية كالحديد أو الاوكسجين ، واحدٌ منها . وهذه العناصر محدودة في الكون عددها اثنان وتسعون عنصراً . واذاً يكون عدد وحدات المادة القصوى محدوداً يبلغ اثنين وتسعين . هذا يعني ان الاشكال الهندسية التي تتركب منها المادة هي اثنان وتسعون . لنفرض انك دخلت مدينة نيويورك وأخذت في درس اشكال

(١) والأصح ان نقول طاقة اذ المادة هي بتركيبها الاقصى طاقة والحركة هي مظهر لنوع من الطاقة والمادة . فالحركة هي الطاقة بينها . ولكن تصريحنا أعلاه مع تنبيهنا هذا كاف طاقة بحثنا

بناياتها وبوّبت هذه الأشكالَ بحسب هندستها فانك لا بدَّ تجد ان بنايات مدينة نيويورك تقع في الوف الاشكال الهندسية ، أجل لكل بناية شكلٌ هندسيٌّ خاصٌّ بها فيكون عدد الاشكال الهندسية لبنايات مدينة نيويورك هو عدد البنايات نفسها

هذا مايسجلهُ الباحث عن بنايات نيويورك ولكن لنفرض ان للقارىء قوة تمكنهُ من التغلغل بين طيّات المادة والوصول الى وحداتها القصوى ودرس هذه الوحدات على المنوال الذي درس به وحدات مدينة نيويورك . فكم هو عدد الاشكال الهندسية التي تتبوَّب بها المادة ؟ هو اثنان وتسعون لاغير . فكل وحدة تعترض القارىء في تغلغله هي لابد احدى هذه الاشكال . فأنت ترى أن المادة أشد نظاماً واقل تشعباً في شكل تركيبها الاقصى من مدن الانسان

اذا ذكرنا المادة قصدنا بذلك احدى هذه الجواهر الفردة (الذرات) ، احدى هذه الاشكال الاثنين والتسعين . والآن شب وثبة اخرى ونخترق حدود هذه الوحدات كي نتبين ما تكنّه في الداخل . يقول العلم انا نجدها مؤلفة من كهربائية كالتي تنير مصابيحنا وتيسّر قطاراتنا وتشفي امراضنا . فيكون جوهر المادة النهائي هو الكهرباء

ولكن ما هي الكهرباء ، ما هي تلك الوحدات الكهربائية القصوى التي تتألف منها المادة والتي يطلق عليها العلم لفظتي الكترون وبروتون اي الكهرب والنواة التي يدور حولها ؟

نرى الآن في افق العلم الحديث نوراً جديداً خطا بنا خطوة شاسعة في سبيل تفهم سرّ الكهرباء . إذ نقرأ أن العلم قد حلّل اخيراً الوحدات الكهربائية الى مركباتها وانها ليست هي في النهاية سوى امواج اشعاعية . والقارىء المواظب على قراءة الاخبار والمقالات العلمية في المقتطف ربما يكون قد اتيح له في الاعداد الاخيرة من المقتطف الى اهم اكتشاف حديث يتعلق بالميكانيكيات الموجية . فدي برولي الفرنسي قد طبق هذا العلم على الالكترون وبرهن بذلك ان الالكترون ، او الوحدة الكهربائية السالبة ، له خواص موجية بحتة تمكنه من ان يُعكس ويُكسر ويتصرف كأنه موجة مستقرة . ومن اجل هذا الاكتشاف نال دي برولي ، كما يعلم القارىء ، جائزة نوبل في الطبيعيات عن سنة ١٩٢٩ . وآخر صوت لسمع في هذا الموضوع هو صوت الاستاذ دبستر الاميركي الذي تخطى دي برولي وصرّح بان الخواص الموجية لاتقترن بالالكترون فقط بل تقترن ايضاً بالبروتون اي بالوحدة الكهربائية الموجبة . واذا أُثبت هذا التصريح اذا اجتاز امتحان العلم وتمحيصه ، حقَّ لنا آنئذٍ ان نقول ان البيئة الخارجية بما فيها من اشجار وصخور ونجوم وغيرها ليست هي في اقصى تركيبها الاَّ امواجاً اشعاعية

لنتنفس الصعداء هنا برهة ولنتفقد ما سجلناه في هذا البحث حتى الآن

ارغمنا اولاً ان نميز بين البيئة الداخلية والبيئة الخارجية . نقدنا الاولى فحللناها الى وعي ذي عاطفة وفكر وسلوك . ونقدنا الثانية فوجدناها في النهاية امواجاً اشعاعية

الوعي والاشعاع ركنا الوجود. فلا وجود دونهما بل قد يكون امكان لوجود الوجود

هل ثمة نظر فلسفي يوحد بينهما ؟ هل نستطيع ان ندمجهما في نظام شامل يتفرعان عنه باسلوب طبيعي سهل ؟ هذه غاية هذا المقال وكل ما تقدم تمهيد له

***

جوهر الوجود الاقصى هو الحوادث الفراغية — الزمنية . فيكون الوعي مجموعة حوادث والاشعاع مجموعة حوادث ايضاً . وتكون الحادثة الفراغية — الزمنية هي النظام الشامل الذي يوحّد بين الوعي والاشعاع . هذا هو المبدأ الذي نود ان نقره في هذا المقال والذي نسعى ان نرسم في ذهن القارىء صورة ثابتة جليةً عنه

وما هي الحادثة ؟ الحادثة هي ما يشغل حيزاً معيناً من الفراغ ومن الزمن وبلغة نسبية اينشتين من الفراغ — الزمن . فكتابة كلمة اينشتين في الجملة السابقة ، كما في هذه الجملة ، هي حادثة إذ شغلت فراغاً واستغرق هذا الشغل زمناً . صوت السيارة الذي يطرق اعصاب اذني الآن هو حادثة إذ هو يشغل فراغاً ويستمر هذا الشغل في زمن . انا افكر الآن في ابتسامة صديقة عزيزة لديّ وهذا التفكير هو حادثة إذ هو يشغل فراغاً من دماغي ويستغرق زمناً . وهكذا قل في كل شيء آخر

الارض حادثة إذ هي تشغل فراغاً وتستمرُّ في زمن ، ولو شاهدها الاله ابولو الذي تمرُّ الوف الملايين من سنيّ الانسان عليه كأنها ثانية واحدة من وقته لرآها تنفصل عن الشمس وتتجمد وتولد حيةً وحيزاً بارداً يضمحل منها الحياة ولشاهد جميع التغيرات في لحظةٍ واحدةٍ من حياته . والشمس حادثة إذ هي تشغل حيزاً في الفراغ ـ الزمن . قراءتك لهذا المقال حادثة إذ هي تشغل حيزاً من الفراغ الزمن . انتَ حادثة لانك تشغل حيزاً معيناً من الفراغ — الزمن . وهكذا اقل في ابيك واخيك وحبيك وفيك وذي مالٍ

لنتعمق قليلاً في فلسفة الحادثة . كل حادثة لها حدود فراغية ـ زمنية . فهي مقطع من الفراغ — الزمن يختلف صغراً وكبراً . كان زمن لم اكن انا فيه وسيكون زمن لن اكون فيه فانا محدودٌ فراغاً اذ يوجد فراغ لست انا فيه كغرفة نوم غندي مثلاً . وهكذا اكون انا حادثة ذات حدود فراغية — زمنية

والامر الهام الذي يجب الانتباه لهُ هنا هو هذه الحدود المعينة التي تحدّ الحوادث فكل حادثة تمتدّ امتداداً معيناً في الفراغ وفي الزمن وليس ثمة حادثة زمنية بحتة ولا

حادثة فراغية بحتة بل كل حادثة تشغل حيزاً محدوداً من الفراغ — الزمن . ولذلك من الخطإ ان يُظن انهُ توجد حوادث صغيرة جدًّا بحيث تقع في لحظة زمنية او تشغل نقطة هندسية . كلاَّ ! الكون لا يعرف اللحظات الزمنية ولا النقط الهندسية بل كل حادثة واقعية من حوادثه تمتدُّ امتداداً محسوساً في الزمن وفي الفراغ ايضاً

لنطلق لفظة الامتداد الزمني على المدة التي تقع خلالها الحادثة ولفظة الامتداد الفراغي على الحيز الفراغي الذي تشغله فيظهر من تصريحنا اعلاه ان الامتدادَ الزمني لا يكون صفراً في اي حال من الاحوال وكذلك الامتداد الفراغي ، بل كلٌّ يكون كمية معينة قابلة للقياس

للحوادث الفراغية — الزمنية علاقات بعضها ببعض عديدة اكتفي هنا بشرح ثلاث منها

(١) العلاقة التركيبية : اي ان معظم الحوادث تتركب من حوادث اخرى ابسط منها. قلنا إن الكرة الارضية كأي شيء آخر في الوجود حادثة ، ولكن هذه الحادثة هي حادثة مركبة اي انها تتركب من حوادث اخرى ابسط منها ككاتب هذه الكلمات وكنيرون وكجبل حمالايا وكالحرب الكبرى وكالمؤتمر البحري لنزع السلاح . وهذه بدورها حوادث مركبة تتألف من حوادث ابسطمنها . خذني انا مثلاً . كان يوم لم اكن فيه فرداً واعياً في هذا الوجود ولكن جاء يوم أصبحت فيه هكذا . ولا بدَّ يأتي يوم — عاجلاً كان او آجلاً — ينتهي فيه هذا الوعي الذي يشكل ذاتيتي . فبين هذين الوقتين — وقت ابتداء وجودي ووقت انتهائه — حدثت الحادثة العالية التي اسميها انا . وهذه الحادثة تمتدُّ امتداداً محدوداً في الفراغ وفي الزمن . لنعتبر مقطعاً من هذا الامتداد ، لنعتبر ذاك المقطع الذي حدث في العشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٦ مثلاً . ففي ذاك اليوم كنت حيًّا وكنتُ لذلك كوعي وذاتية حادثة فراغية — زمنية . لكن هذه الحادثة مشمولة في الحادثة الكبرى التي هي أنا . ولنستطع ايضاً ان نجزّيء هذه الحادثة الصغرى الى مركباتها بحيث نراها مركبة من سلسلة حوادث فراغية — زمنية جرت ذاك اليوم . وعلى أي حال لا بدّ ان تكون اي حادثة مهما صغرت وتقلصت محدودة فراغاً وزمناً اي لا بدَّ أن تمتد امتداداً معيناً في الفراغ وفي الزمن

العلاقة التركيبية بين الحوادث ترى الحوادث متداخلة بعضها ببعض ، تراها مركبة بعضها من بعض ، فالارض حادثة أعم من حادثتي ولذا انا جزء منها ، والنظام الشمسي حادثة اعم من حادثة الارض ولذا الارض جزء منها ، والكون حادثة اعم من حادثة النظام الشمسي ولذا النظام الشمسي جزء منها

(٢) العلاقة الفراغية : لنعتبر عدداً معيناً من الحوادث . إذا اختبرنا هذه الحوادث

او اذا فكّرنا فيها رأيناها مربوطة بصفة ضمنية لازمة نهائية رأيناها تنتظمُ بشكل يسمح للفكر البشريّ ان يجول بينها وينتقل من الواحدة الى الاخرى بطريقة ضرورية قصوى لا تحتمل اي زيادة تحليل . هذا الانتقال المعين هو ما نسميه بالعلاقة الفراغية بين الحوادث وبه نستطيع ان نصف هذه الحوادث بان الواحدة منها على يمين الاخرى والثالثة فوق الاولى والثانية أقربُ اليّ من الاولى وهلمّ جرًّا . اي ان جميع الصفات الفراغية التي تظهر لنا ضروريةٌ في الوجود تتضمنها هذه العلاقة

ينتج عن هذه العلاقة الفراغية ان الفراغ الذي تسير فيه الاجسام المادية والاشعاعات الموجية ليس هو الاّ (١) المسافات المستقرة بين الحوادث و(٢) ترتيب الحوادث بالشكل الذي نستطيع معهُ أن نقول ان حادثة ما على يمين أخرى أو فوقها او أقرب إلى المتكلم منها

(٣) العلاقة الزمنية : ولكن تنسيق الحوادث الطبيعي يسمح بانتقال فكريّ آخر غير الذي نشأ عنهُ الفراغ . وهذا الانتقال ايضاً يظهر ضروريًّا لا يحتمل اي زيادة تحليل . وهو مستقل للمشاهد الواحد عام الاستقلال عن الانتقال الفراغيّ . هو ما نطلق عليه اسم العلاقة الزمنية . اي انهُ تستقر في الحوادث صفة قصوى ترتبها ترتيباً خصوصيًّا وتسمح لنا بالانتقال من الواحدة الى الأخرى على منوال ممتاز بحدّ ذاته مستقل للمشاهد الواحد عن المنوال الفراغيّ

ينتج عن هذه العلاقة أيضاً أن الزمن الذي تحدث فيه الحوادث ليس إلاّ (١) التواصل الزمنية بينها و (٢) الترتيب الخصوصي الذي يجيز لنا اعتبار الواحدة قبل الاخرى أو بعدها

كان يُظن ان الفراغ وعاء تقع فيه الحوادث والزمن وعاء آخر تستمر فيه الحوادث وتتلو بعضها بعضاً . وان هذين الوعائين مستقلان عن الحوادث التي تقع فيها وأحدهما عن الآخر ولكن ما هما هذان الوعاءان ؟ لم يكن العلم في الماضي يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال ، أما الآن بعد ان نقض اينشتين هذا الاعتقاد نقضاً أصبحنا نرى أن لا وجود البتة لهذين الوعائين وان افتراضهما أمرٌ لا مبرّر لهُ وأصبحنا نعتبر الفراغ مجرّد العلائق الفراغية بين الحوادث والزمن مجرّد العلائق الزمنية بينها

***

ما هي مبرّرات هذه النظرة الى الوجود ؟

يبرّرها الفكر المجرّد الطلق والخبرة البشرية المباشرة . أما موقن ان حياتي منذ ان بزغت كوعي الى الآن هي سلسلة حوادث بالمعنى الذي حددناه أعلاه . وأنا موقن ان جميع المؤثرات الخارجية التي تهاجمني هذا الوعي هي حوادث أيضاً . والاشعاع الذي هو جوهر المادة العلمي لا يرى فيه العلم سوى حوادث بحوادث . ولذا أراني مبرراً اذا نظرت

الى الوجود بكامله كمجموعة حوادث فراغية — زمنية لا غير وأعتقد ان أيّ وعي غير وعي ينظر الى خبرته الواقعية بهذا النظر المجرَّد يتوصل الى نفس ما توصلت اليه

انظر الى يدك اليمنى . تقول انك تراها . حسناً ، ما معنى ذلك ؟ معناه أن هناك جسماً ماديًّا تسميه يدك اليمنى ، وان هذا الجسم يشع أمواجاً نورية يصطدم بعضها بشبكية عينك حيث تقع على أعصاب حساسة تتفعل بالنور . وعند هذا الاصطدام يتولَّد تيَّارٌ عصبي يسير في أعصابك نحو مركز معين في دماغك . وعند وصوله الى هذا المركز ينعكس في وعيك وينتج صورة واعية هي نظرك ليدك . فها أنت ترى ان بين يدك ووعيك علاقة طبيعية متواصلة وإن قوام هذه العلاقة وكنهها الأقصى هو تتابع الحوادث وترابطها وتسلسلها . فيدك حادثة ومركباتها حوادث إذ جميع هذه تشغل فراغاً وتستمر في زمن . والاشعاعات النورية حوادث إذ كل منها يشغل فراغاً ويستمر في زمن . وشبكية عينك حادثة وأعصابك حوادث والتيَّار العصبي حادثة وأخيراً انعكاس هذا التيَّار في وعيك حادثة

اني أتحدّى العالم بأسره كي يريني أمراً أو اختباراً ليس حادثة أو مجموعة حوادث

***

ما هي النتائج الحسنة التي تتضمنها هذه النظرة الى الوجود ؟

تتضمن أولاً التوحيد التام بين جميع مظاهر الوجود وتحليل هذه المظاهر الى وحدات أوّلية أطلقنا عليها لفظة « حوادث »

وتتضمن ثانياً الشعور الصوفي الداخلي، أنا من لحم الوجود ودمه وأنا محاطون بالحقيقة نفسها التي نحن نتألف منها ولذا فلسنا غرباء عن الوجود ولا خارجين عليه

وتتضمن ثالثاً النظر العلمي المنتج الذي يسود جميع دوائر العلم في العالم . فقد اعترف العلم الآن بأن مادة بحثه هي الحوادث الفراغية — الزمنية [illegible] مادة اخرى . حسبه درس هذه الحوادث وتعيين العلاقات المستقرة بينها

اذا شرع القارىء بتأثير هذا المقال يتصور ان الوجود كما نختبره فعلاً هو سلسلة حوادث وان كل ما يحق لنا ان نفترض في هذا الوجود وعنه هو هذه الحوادث لا غير يكون قد خطا الخطوة الاولى الضرورية لتفهم نسبية ايشتين ونظرية الكمّ وما اليهما وأكون انا بدوري سعيداً بشعوري اني لم افشل كل الفشل في غايتي من هذا البحث

***

نختبر الوجود كوعي وكاشعاع وهو في كلتا حالتيه خزان حوادث لا غير . فتكون وحدة الوجود القصوى الحادثة التي تشغل فراغاً وتستمرُّ في زمن . ولذا فهذا المقال ليس الاّ حادثة خطتها حادثة وانتهت من قراتها الآن حادثة . . شارل مالك